

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(107) ومثله قوله سبحانه: (ثُمَّ اجْتَدَبْنَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ)

(1) فالتوبة هنا من الله على عبده، ومعنى الآية أن الله سبحانه اصطفى آدم لاجل تلقائه الكلمات وسوّاه بها، فعندئذ رجع الله عليه بالرحمة وهداه سبحانه وأخرجه من الغواية التي غشيتها، والظلمة التي اكتنفته، لاجل عدم الإصغاء إلى نصحه سبحانه وتقديم نصح غيره عليه. نعم إن لفظة (فَتَابَ عَلَيْهِ) في سورتي البقرة وطه، دالة على أن آدم "تاب إلى ربه"، ولاجل توبته إلى الله ورجوعه إليه بالندامة، تاب الله عليه ورجع عليه بالرحمة والهداية، ولكن لا دلالة لكل رجوع وإنابة إلى الله، على وقوع الذنب وصدوره منه، خصوصاً بالنظر إلى ما قدّمناه في التفسير الثاني لمخالفة آدم، وقلنا إن من الممكن أن يكون نفس العمل جائزاً ومباحاً ولكن يعد صدوره من بعض الشخصيات محظوراً وأمرأً غير صحيح، فإنابة تلك الشخصيات إلى الله في تلك المجالات لا تعد دليلاً على صدور الذنب، بل تعد دليلاً على سعة علمها بالعظمة الإلهية، ولاجل ذلك يقال: "حسنات الآبرار سيئات المقربين" وقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): "إن الله ليران على قلبي وإنّي استغفر الله كل يوم سبعين مرة". (2) وليس هذا الاستغفار دليلاً على صدور الذنب، بل هو دليل على سعة علمه وعمق إدراكه لعظمة الله. 7. ما معنى الغفران في قوله: (وإن لم تغفر لنا)؟ بقيت هنا كلمة وهي توضيح قوله سبحانه: (وإن لم تغفر لنا) _____ 1. طه: 122. 2. صحيح مسلم: 8|72، كتاب الذكر، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه. وفيه: "ليغان" مكان "ليران"، وهو من مادة "الغين" أي الستر.